كتب

في كتابه «زَمن الوحوش: العالَم العربي، 2011-2021»، الصادر حديثًا في باريس، يستعير الباحث الفرنسي - التركي استعارة «الوحوش» من المؤرّخ مارك بلوك، من أجل فهم الانتفاضات العربية، ومن أجل تحليل الأدوات التي استخدمتها الأنظمة لإجهاض «الربيع»

حميد بوزرسلان جذورُ الربيع العربي وثمارُه المُرّة

زمن يحكمه الوحوش

نجم الدين خلف الله

ما تزال مُراجعات الرّبيع العربيّ جاريةً على قدمٍ وساق، حتى كادت هذه المسألة أن تُشكّل موضوعًا مستقلًا وحقلًا معرفيًا قائمًا بذاته، وعنه تصدر باستمرار دراساتٌ ومقالاتٌ تعود إلى الجذور العميقة التي كانت وراء هذا الحدث المفصليّ وارتداداته في التاريخ العربي المُعاصر، وما أسْفَر عنه إمّا من فشلٍ ذريع، بعد أن تحوّل إلى حرب طاحنة، أو من نجاح ولو نسبيّ، في الأقطار التي أقصت رُؤساءَها المستبدّين.

في هذا الإطار، يندرج الكتاب الجديد الذي أصدره الباحث الفرنسيّ، من أصل تركيّ، حميد بوزرسلان، والذي عَنْوَنه: «زَمن الوحوش: العالَم العربي، 2011 - 2021»، الصادر حديثًا عن منشورات «لاديكوفرت» في باريس.

يستعير الباحث مجاز «الوحوش» من دراسات المؤرّخ الفرنسي مارك بلوك (1886 - 1944) حول التّاريخ الأوروبي في حقبة ما بين الحربَيْن، والذي وضَع اليَد على الظّروف التي أسفرت عن ظهور زعماء متوحّشين، قادوا العالم بأسْره إلى فظاعاتٍ، لم يكن لِيَتصَوّرها أحدٌ، ذهبَ ضحيّتَها عشرات الملايين من الأبرياء.

وبالاعتماد على هذا المجاز، رغم وضوحِه، يعود بوزرسلان إلى العشريّة الماضية التي مرّ بها وطنُنا العربي، والتي دشّنها محمد البوعزيزي بحرق نفسهِ تمرّدًا على النظام البوليسي، في عَهد زين العابدين بن علي (1936 - 2019)، والذي حَرَمه من لُقمة العَيش الكريمة، مع أنه حامل شهادةٍ جامعيّة عليا.

تعود فصول هذا الكتاب إلى سلسلة مقالاتٍ كتبها هذا الباحث طيلة السنوات الماضية، ضمن «الحصيلة الثانويّة لمجلّة الشرق الأوسط» بين سنتي 2012 و2021، حيث كان يُطلب منه دوريًا تحرير تقرير عن وضع بلدٍ ما من ذلك الشرق «الرهيب»، بالإضافة إلى مَقالَيْن صدرا في مجلّة «حَركات» سنتَي 2012 و2014، وفيهما يعود إلى الأسباب العميقة التي أدّت إلى اندلاع حركات الرّبيع العربيّ، ثم إلى تحوّل بعض تداعياته إلى بيئةٍ حاضنة للإرهاب.

وأمّا المحور الرئيس الذي يدور عليه هذا الكتاب، فهو وصف الظروف والعوامل الجيوسياسية التي أفضت، في تداخلها وتشابك مصالح الأطراف المتنازعة، إلى خلق أنماط عديدةٍ من «المُتوحّشين»، الذين يغيّبون العقلَ بسبب تَعطّشهم إلى السلطة، سواء أكانوا من الحُكّام الطّغاة، مثل بشار الأسد، أو من المُتشدّدين الذين لم يكن يرفّ لهم طَرفٌ وهم يُعدِمون عشرات الأبرياء باللجوء إلى العُنف المقدّس الذي غالبًا ما كان يُشرَّعُ بمقولاتٍ دينيّة، حيث تفنّن كلٌّ من هؤلاء ومن رجال دين الأنظمة المُستبدة في توظيف النصوص الدينيّة القديمة، بَعد اقتلاعِها من سياقاتها الماضية من أجل التبرير لِصراعات الحاضر والتشريع لما يُرتكب فيه من الجَرائم والانتهاكات. فَغياب العقل من صُور هذا التلاعب الوجداني، واللعب على الأوتار المُقدّسة والعاطفيّة إضفاءً معنًى، ولو مُرعب، على هذه التحرّكات التي تقودها جماعات وأجهزة رسميّة أعماها حبّ السلطة والنفوذ. هذا، وقد شمل التحليل سائر مناطق الربيع العربي الجغرافيّة، تلك التي ظهر فيها «الربيع» بمَوجته الأولى وتلك التي شَهدته في السنوات القليلة الماضية، كالجزائر والسودان ولبنان، إلى جانب البلدان التي أجهِض فيها، مع تحديدٍ دقيقٍ لكلّ مظاهره وتداعياته.

وقد دَلّل الباحث أنّ الديمقراطية الغربيّة لعبت دورًا رئيسًا في هذا الإجهاض، بسبب من تَعنّتها وعدم وعيها بالتحوّلات العميقة التي طرأت على العالم العربيّ، منذ أكثر من سبعة عقود، هي عُمر الخروج من الحقبة الاستعماريّة، والتي، يضيف الكاتب، لا يمكن أن تفسّر كلّ الهزائم التي مُنِيت بها الدول الفَتيّة بعد تحرّرها من نير الاستعمار. وفي هذا تنسيبٌ للخطاب الشائع الذي يعلّل تخلّف الوطن العربي بالحَدَث الاستعماريّ، محمّلًا إيّاه المسؤولية كاملةً عن كلّ مظاهر التقهقر، وهو تعليلٌ ساذج، شديد التأثير في الخطابات الشائعة، ولكنّه يحجب القراءة الرصينة لمظاهر هذا التراجع ويَربطها بتفسير أحاديّ، غالبًا ما يفشل في فهم تَعقيدات الواقع.

وفي خُلاصة الكتاب، أورَد الباحثُ ما يُشبه الحصيلة المُتناقضة: فمن جهة أولى، وُئِدَ «الرّبيع» بسبب المَسار الدمويّ - العسكريّ الذي اتّخذه في سورية واليمن، ولكن في ذات الآن أسفر عن حيويّة مدهشة في الفنّ والأدب والكتابة الحرّة التي ناضلت لإضفاء معنًى على عالَم صار بلا معنى. المفارقة الثانية هي تحوّل التطلّع إلى الحريّة والكرامة- الذي صاحب موجات «الربيع»، خلال عقدٍ من الزمن- إلى عُنف ملازم للدولة التي باتت تُحرّكها حوافر طائفيّة، أو أيديولوجيا جماعات متطرّفة انتهت إلى تدمير مفهوم الدولة الهشّ بطبيعته. وتكمن الوحشيّة هنا في تخلّي الدّولة عن منطقها المُجرّد، المعبِّر عن كلّية أفراد الشّعب، وتحوّلها إلى مجرّد جهاز قمعيّ، حامٍ لأقلّية طائفيّة، لُحمتها معتقداتٌ بائدة، يُعاد إحياؤُها واستحضار ما قد تَبعها من صراعاتٍ في الماضي، في ما يشبه عملية الثأر التاريخي. وفي المقابل، تُغيِّبُ الحَركات المسلّحة والإرهابيّة منطقَ الدّولة بالكليّة، وتصبح مجرّد تنظيم عاجزٍ عن استيعاب واقعه الضّيق، فضلًا عنْ فهم موازين القوى العالميّة ومطامع الدّول الإقليميّة الكبرى والمتناحرة، وهذا أيضًا من خَطَل الرّأي.

المزلق الأوّل الذي وقع فيه هذا البَحث، هو الخضوع إلى راهنيّة الأحداث، حيث كانت فُصول الكتاب متابعةً حينيّة لها، لا تأخذ ما يكفي من الوقت من أجل تَحليلها واتّخاذ مسافة نقديّة منها. فالأحداث تتلاحق في سرعة جنونيّة وتتّخذ مسارات ومَدارات لا يمكن التنبؤ بها، وفي الغالب ما تُفاجئ حتى الملاحظين الأكثرَ دقّةً، ولذلك بدت بعض التحليلات مُتجاوَزَةً، ليس بفعل هشاشتها النظريّة، وإنما بسبب تسارع المتغيّرات في الواقع وعدم خضوعها إلى منطقٍ واضح، وقد يتحوّل التّحليل إلى وصفٍ حدَثيّ سطحيّ، بمقولات معروفة، ممّا يفقده عمق النظر والتأصيل. وقد اعتمدت تحاليل الكتاب على نظريّات مُتعدّدة، أهمّها الفلسفة السياسيّة الماركسية ونظريّات أليكسي دو توكفيل ومارك بلوك وغيرهما من علماء الاجتماع والتاريخ، ممّا أضفى عليها شيئًا من العمق في متابعة المسارات التي صنعت من خلالها صُور الوحوش، أكانوا من الحكّام أو المحكومين، وأسهمت في فهم هذه اللحظات التاريخيّة التي يعيش فيها العقل أسوأ حالاته حين يُرمى به في متاهة العنف والفظاعات التي يَرتكبها «الوحوش» ضدّ منطق الدولة والحرّية والإبداع والكرامة، التي من أجلها قامت حركات «الرّبيع» الاحتجاجيّة.

إلا أنّ توظيف هذه الشبكة التأويلية على واقع مختلف جدًا يفضي إلى ضربٍ من الإسقاط والمغالطة، ويؤدّي بدوره إلى عَدم فهم الواقع. ونعتقد أنّ المفهوم الأساس الذي استُخدم هنا- «الوحشيّة»- والذي قرئ على ضوئه الربيع العربيّ، غير مناسب؛ لأنه معياريّ، وفيه حُكم قيميّ واضح. كما لا مَجال لمقارنة ما حصل في الحربَيْن، الأولى والثانية، بربيعنا العربيّ، لتباين السّياقات الجيوسياسية. ومع ذلك، يظلّ الكتاب مقاربة جديدة وأصيلة لظاهرة «الفظاعة» التي انزلقت فيها بعض أطراف الثورات العربيّة، وبحثًا ماتعًا في أسباب هذا الانزلاق، لتلافيه في مُستقبَل الثورات. ولعلّها قادمة.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

في قضايا منطقتنا

يُعَدّ حميد بوزرسلان (1958) من أبرز الأسماء المشتغلة، ضمن الأكاديميا الفرنسية، حول قضايا تركيا والمسألة الكردية والعالم العربي، إن كان من خلال النشر أو التدريس في «المدرسة العُليا للعلوم الاجتماعية» بباريس. من أبرز أعماله «المسألة الكردية» (1997)، و«تاريخ تركيا المعاصر» (2004)، و«تاريخٌ للعنف في الشرق الأوسط» (2008)، و«علم اجتماع سياسي للشرق الأوسط» (2011).

وصف للظروف والعوامل التي أفضت إلى خلق أنماط من «المتوحّشين»

الديمقراطية الغربيّة لها دورٌ رئيسٌ في خنق الربيع العربي

حميد بوزرسلان

نظرة أولى

بترجمة يونس جنوحي، صدرت حديثاً عن «دار أكورا» النسخة العربية من كتاب **مع المولى عبد الحفيظ في فاس** للصحافي البريطاني لاورنس هاريس، والذي وصل إلى طنجة في خريف 1908 لإجراء حوار مع السلطان المغربي عبد الحفيظ بُعَيد تولّيه العرش، والتقى خلال إقامته في المغرب عدداً من الوزراء والأثرياء في طنجة وفاس، كما جلس إلى فقرائهما. ينقل الكتاب، الذي صدر بالإنكليزية عام 1909، طقوس البيعة، والحياة اليومية للمغاربة، وآراءهم حول التنافُس الاستعماري على بلادهم، والمفاوضات التي أدّت إلى توقيع «اتفاقية الحماية» مع فرنسا عام 1912.

مسائل في اللسانيات وعلم العلامات: قراءة في نصوص فرديناند دو سوسور عنوان الكتاب الذي صدر حديثاً عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، للباحث الجزائري مختار زواوي. يتضمّن العمل دراسةً في مجموعاتٍ خمس من أعمال اللغوي السويسري الجديدة في اللسانيات العامّة عُثر عليها عام 1996 ونُشرت في عام 2002، وتناقش مسائل مثل: ميتافيزيقا العلامة، والتجريد، والثنائيات، ومبدأ المخالفة، وسؤال البدايات، ونقد النحو المقارن والطريقة المقارنة، والمنهج واللغة الواصفة، والسيميولوجيات والتوزيع الجغرافي للألسن، والخطاب.

عن «مؤسّسة أبجد للترجمة والنشر»، صدر حديثاً كتاب **شعرية المفارقة: مقاربات في الأسطورة والتراث والمعاصرة** للباحث العراقي قيس الجنابي. يتنقّل العمل، في أبوابه العشرة، بين عدّة مواضيع ذات صلة بالأسطورة والتراث وتمثيلاتهما في الآداب المختلفة من الشعر والحكاية والقصّة القصيرة والرواية والمسرح، كما يشمل أسماء لعدّة كتاب وشعراء عرب؛ مثل الشاعرَين أمل دنقل ومحمد مهدي الجواهري والقاصّ محمد خضيّر. في حين تطرّق في موضوعة الرواية إلى أسماء أُخرى؛ مثل: فؤاد التكرلي، وإبراهيم الكوني، وغادة السمّان، وإبراهيم أصلان.

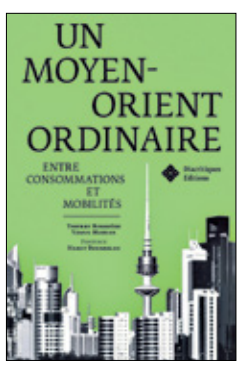

شرق أوسط عادي: بين الاستهلاك والقدرة على الحركة هو عنوان الكتاب الصادر أخيراً عن «منشورات ديكارتيك الفرنسية» لعالَمي الأنثروبولوجيا الفرنسيَّين تيري بواسيير ويوان مورفان. يُحاول العمل تقديم مساهمة في فهم أنثروبولوجيا الرأسمالية، وذلك من خلال دراسة أشكال التداول والاستهلاك في كلّ من العالم العربي وتركيا وإيران، في سياق اضطرابات سياسية واقتصادية كبيرة، تشهدها المنطقة منذ 2011، ويركّز على مدن تأثّرت بالتوجّهات النيوليبرالية خلال العقدَين الماضيَين؛ هي: حلب، وقُم، وطهران، وإسطنبول؛ بهدف فهم الديناميات الاجتماعية.

عن «دار ممدوح عدوان»، صدرت حديثاً رواية **ابن الإنسان** لـ أوغستو روا باستوس (1917 - 2005) بترجمة بسّام البزاز. في هذه الرواية، (1960)، يروي الكاتب الباراغواياني جانباً من تاريخ بلاده، من خلال قصّة تمثال ينحته صانع آلات موسيقية قبل موته، فيتّخذه سكّان قرية إيتابيه مَعلماً، ثُمّ تتشعّب الرواية لتنقُل أحداثاً وحروباً استمرّت عقدَين، قبل أن تعود إلى التمثال الذي اكتسب رمزيةً جديدة. يروي باستوس التاريخ من منظور أشخاص عاديّين، مصوّراً محاولات تمرّدهم على السلطة، ثمّ إجبارهم على الموت في حروب عبثية يخوضونها إلى جانبها.

الحداثة والأخلاق عنوان كتاب للمفكّر الأميركي تشارلز لامور (1950) صدرت نسختُه العربية حديثاً عن «دار صوفيا» بترجمة وتقديم أستاذ الفلسفة المُعاصرة في جامعة الكويت، الزواوي بغّورة. في هذا العمل، الذي صدر أوّل مرّة عام 1996، يَعتبر الأستاذ في «جامعة كولومبيا» بنيويورك، أنّ من الضروري القبول بأنّ الحداثة تُشكّل أفقاً لازماً لتفكيرنا العقلاني، لكنّه يلفت، مِن جهة أُخرى، إلى ضرورة الاعتراف بوجود مشكلات أخلاقية أساسية تتّصل بالحداثة، لم يقُم الفكر المعاصر بتقديم حلول لها، ولم يرها بوضوح حتّى.

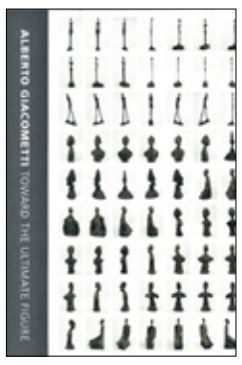

عن «منشورات جامعة ييل»، صدر حديثاً كتاب **ألبرتو جياكوميتي.. نحو الشكل النهائي** ويشمل مجموعة دراسات حرّرتها إميلي بوفارد. يتتبّع الباحثون سيرينا بوكالو، وهوغو دانيال، وآن دوماس، وكاثرين غرينير، وكاثرينا مانشاندا، وورومان بيرين، ووليليام روبنسون، ووليليام رودولف، في دراساتهم أكثر من مئة عمل للفنّان السويسري (1901 - 1966)، ويكشفون مركزية المنظر الطبيعي فيها، وتأثّره بعدد من رسّامي ما بعد الانطباعية الذين أحاطوا بوالده الفنان جيوفاني جياكوميتي، كما يضيء الكتاب علاقة ألبرتو بالاستوديو الذي نفّذ فيه أغلب رسوماته ومنحوتاته.

صدر حديثاً عن «مؤسّسة الدراسات الفلسطينية» كتاب **قطع الطريق على فلسطين: تاريخ سياسي، من كامب ديفيد إلى أوسلو**، من تأليف سِث أنزيسكا وترجمة داود تلحمي. يعتمد المؤلّف مصادر رُفعت عنها السرية حديثاً، إلى جانب مقابلات مع مجموعة من الدبلوماسيّين وقدامى المحاربين العسكريّين، والقادة الشعبيّين، ليحدّد بداية مسار ما يسّمى «عملية السلام» في المنطقة العربية، كما يقدم تفسيراً جديداً وجريئاً لصراع مشحون جدّاً من أجل تقرير المصير، وكيف عقدت «إسرائيل» معاهدة سلام مع مصر منذ أكثر من أربعين عاماً، لكن مسار السلام لم يُفض إلى بناء دولة فلسطينية.